

المحاضرة الخامسة: النظرية الاشتراكية

1/5 جذور التاريخية للنظرية

ظهرت الأفكار التي تؤيد الملكية العامة منذ زمن قديم مع نشوء المجتمع الطبقي، فكانت تعبيراً عن رغبة الطبقات المضطهدة في الخلاص من الظلم والاستغلال نحو حياة أفضل، ومع بداية القرن الثامن عشر بدأت الأفكار الاشتراكية تتبلور بشكل أوضح ويصبح لها منظرين.

وكان هذا التطور نتيجة للثورة الفرنسية (1789)، والتي جسدت الآمال في الحرية، والتخلص من استغلال الملكية الإقطاعية، وانتهت الثورة بالقضاء على الحكومة الملكية، ولكن بعدها ظهرت طبقة حاكمة جديدة ليستمر اضطهاد الجماهير تحت شعار الديمقراطية البرجوازية، و لما كان من غير الممكن تحقيق ديمقراطية حقيقية مع الاستمرار في وجود من يملك، وبالتالي يحكم ويتحكم في أقدار الآخرين، سرعان ما ظهر لجماهير الكادحين أن الثورة لم تحقق آمالهم.

أما الثورة الأخرى التي كان لها أكبر الأثر في تطور الأفكار الاشتراكية فكانت الثورة الصناعية في إنجلترا في القرن الثامن عشر، والتي كانت نتيجتها الفعلية المزيد من الشقاء لآلاف العمال من الأطفال والنساء والرجال الذين أصبح عليهم أن يعملوا في المصانع لمدد تصل إلى 14 - 16 ساعة يومياً، ورغم تطور الإنتاجية وتحقيق الوفرة المجتمعية إلا أن الوضع استمر في وجود طبقة حاكمة تملك وسائل الإنتاج الرأسمالية (الثروة)، وبقاء الأغلبية في الفقر.

ولذلك تطورت الاشتراكية لمعارضة تجاوزات الفردية الليبرالية والرأسمالية، في ظل الاقتصادات الرأسمالية المبكرة خلال أواخر القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، حيث شهدت أوروبا الغربية الإنتاج الصناعي ومضاعفة النمو الاقتصادي بوتيرة سريعة، وارتفعت الثروات بسرعة إلى بعض الأفراد والأسر، بينما ازداد آخرون فقراً، مما أدى إلى عدم المساواة.

ونتج عن هذا النمط الرأسمالي حالة استقطاب داخل المجتمع، أظهرت طبقتين متعارضتين المصالح هما: أصحاب رأس المال (البرجوازية)، والعمال (البروليتاريا)، ومع تشكل الوعي لدى طبقة العمال

جامعة التكوين المتواصل السنة الثانية : السداسي الرابع

بمدى سوء أوضاعها الاجتماعية، وحجم استغلال أصحاب العمل لها؛ برزت حركة عمالية منظمة تدافع عن حقوق العمال، وتطالب بتحسين أوضاعهم المعيشية.¹

والجدير بالذكر، ظهر مصطلح الاشتراكية بمعناه السياسي الحديث الدال على نظام اجتماعي واقتصادي في الصحافة لأول مرة عندما نشرت صحيفة كلوب عام 1832 مقالة عنها . وبدون أي منازع يعد ماركس الأب الروحي لها، ولقد تم تطبيق قواعدها المستوحاة من فلسفة هيغل، في الاتحاد السوفياتي سنة 1917، حين أصدر "فلاديمير لينين" أول قانون للصحافة أغلق بموجبه كل الصحف المعارضة.

وقد جاء في أحد بنود هذا القانون، ان إعادة الحرية الكاملة للصحافة، ستتم بمجرد ترسيخ اسس النظام الجديد، وأن هذه الحرية ستمارس في إطار المسؤولية أمام القانون بموجب التشريع الأكثر تقدمية. كما صدر قانون ثاني للصحافة في نفس السنة، أمر بتحويل المطابع ومصانع الورق الى ملكية الدولة وتحرير الصحافة من هيمنة رأس المال.

وفي سنة 1918 صدر قانون خاص بالمنشورات والراديو، وفي سنة 1922 تم تأسيس القيادة العامة للأدب والنشر، ومهمتها الاشراف ومراقبة المنشورات الأجنبية.

كهذا تم تدريجيا إرساء قواعد العمل الصحفي حسب هذا النظام، وكيفية تسيير وسائل الاعلام عموما وما يتماشى ومبادئ النظام الماركسي.

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية انتشرت أسس هذه النظرية وتطبيقاتها السوفيتية في أوروبا الشرقية، و مع بعض التحريف في العديد من دول العالم الثالث التي اتبعت النهج الاشتراكي، او التي كانت عبارة عن مناطق نفوذ المنظومة الشيوعية.

فرضيات النظرية:

تقوم هذه النظرية على أساس أن المجتمع الاشتراكي مجتمعا غير طبقي، ولا يوجد صراع بين الطبقات، والطبقة العاملة بالتحديد هي التي تمتلك السلطة في أي مجتمع اشتراكي، وحتى تحتفظ هذه الطبقة بالسلطة لابد أن تخضع وسائل الاتصال لسيطرة الحزب الشيوعي كوكلاء عن الطبقة العاملة تقترض هذه النظرية أن الجماهير أضعف وأجهل من أن تحاط علما بكل ما تقوم به الحكومة، ويبقى

جامعة التكوين المتواصل السنة الثانية : السداسي الرابع

الدور الرئيس لوسائل الاتصال يتمثل في التربية الفكرية والأيدولوجية والتنمية السياسية، و التنظيم لجميع فئات المجتمع، و تنشأ هذه الوسائل على أساس التعبير عن مصالح متعارضة، باعتبار لا وجود لصراع بين طبقات هذا المجتمع؛ فالنظام الاشتراكي يقوم على الملكية العامة لوسائل الاتصال ، فيمنح مختلف القوى الاجتماعية حق إصدار الوسائل والنشرات ، ويربطها بقضايا المجتمع الاشتراكي ، ويتيح الفرصة لأكثر عدد من أفراد المجتمع العاديين للتعبير عن وجهات نظرهم. كما تحدد النظرية دورا إيجابيا يلتزم به الإعلاميون تجاه المجتمع، وتستخدم الرقابة والإجراءات القانونية، لمنع نشر كل ما يسيء للمجتمع ؛ فوسائل الإعلام تعد جزءا لا يتجزأ من الحكومة و أداة لتكريس سيطرة الطبقة العاملة ، وتعبئة الجماهير لمساندة النظام و أهدافه . ويعتقد شرام أن هذا النظام يجعل وسائل الاتصال مملوكة للدولة، ويديرها ويحدد وظيفتها الحزب الحاكم ويربطها بمبادئه الحزبية ، ويقصر حرية الرأي على المؤيدين ، ويفرق بين هذا النظام والنظام السلطوي من نواحي طبيعة الملكية ، وعدم سعيه للربح ، و عمله على انتشار وسائل الإتصال.

والدولة يجب أن تملك وتقوم بتشغيل هذه الوسائل، والحزب الشيوعي هو الذي يقوم بالتوجيه ، وتسمح النظرية الشيوعية بالنقد الذاتي.²

2/5 خصائص النظرية:

إن الأفكار الرئيسية لهذه النظرية، يمكن إيجازها في ان الطبقة العاملة هي التي تمتلك السلطة في أي مجتمع اشتراكي، وحتى تحتفظ هذه الطبقة بقوتها وبسلطة فإنها لابد أن تسيطر على وسائل الإنتاج الفكري التي يشكل الاعلام الجزء الأكبر منها. ومن مميزات هذه النظرية نجد:

- يشرف على الاعلام أعضاء مخلصون وأوفياء للحزب.
- منع تقديم أي نقد لأهداف الحزب الاستراتيجية من طرف وسائل الاعلام
- وسائل الاعلام هي ملكية عامة ولا يحق إنشاء وسائل خاصة
- ممارسة الرقابة على كل ما ينشر
-

3/5 وظائف وسائل الاعلام في ظل النظرية الاشتراكية:

ما تجدر الإشارة اليه تصب جل أهداف الاعلام بمختلف وسائله في خدمة الشيوعية تقويتها، وانتشارها. ومنه يمكن حصر وظائف الاعلام في النقاط التالية:

جامعة التكوين المتواصل السنة الثانية : السداسي الرابع

- لم شمل المجتمع حول الحزب،
- نشر الروح الوطنية الأممية،
- محاربة المواقف الاجتماعية الضارة،
- تجنيد طاقات المجتمع لتنفيذ الخطط الاقتصادية،
- نشر أفضل النماذج والقيم الثقافية،
- خلق إمكانيات الترفيه والراحة بعد العمل،

4/5 ركائز ووسائل النظرية الماركسية:

تعتمد هذه النظرية على ركائز أساسية وهي:
أ/ الدعاية:

استخدام الدعاية كأسلوب ناجح للوصول الى الأهداف المرجو تحقيقها، وهي أساسا المسار الاشتراكي و تربية الشعب عليه وتقوية القناعات بفكره. ويتكفل بهذه المهمة دعاة يفكرون ويكتبون ويشرحون وفق خطة مدروسة.

ب/ الاعلام:

هو أساس الدعاية، التي تعتمد عليه اعتمادا كاملا لتوزيع الأخبار والمعلومات، وباعتباره مصدرا لهذه المعلومات، فالإعلام بالمفهوم الماركسي هو عملية نشر للخبر بصفة مجردة لتستغل الدعاية ، والخبر بذلك يسير في اتجاهين من أسفل الى فوق ليتمكن القادة معرفة أحوال و شعور الشعب و يستطيعون بذلك توجيه دعايتهم، ومن فوق الى أسفل حتى يتمكن المواطنون على علم بما يهمهم ويهم البلاد.

ج/ التحريض:

يقوم بالتحريض أشخاص مدربون لهذا الغرض ، مهمتهم الاتصال بأفراد المجتمع، ودعوتهم لإظهار غضبهم أو تأييدهم حسب ما يتطلبه الوضع، والخطة المسطرة من طرف الدعاية. و ما تجدر الإشارة اليه، قد انتهت هذه النظرية بانتهاء الشيوعية وسقوط الاتحاد السوفياتي عام 1989 ،وهذا بعد أن تكشف كيف أخفت وسائل الإعلام في ظل هذه النظرية الكثير من المعلومات عن الجماهير نتيجة للقيود الصارمة التي كانت مفروضة عليها.³

5/5 نماذج عن هذه النظرية:

أ/في الاتحاد السوفيتي:

بعد قيام الاتحاد السوفيتي وظهور الدولة الشيوعية، قام أعضاء الحزب الشيوعي بالسفر من مكان لآخر لينشروا أفكار الفلسفة الجديدة حتى ينجحوا في حشدهم و تحويل اتجاهاتهم وسلوكهم من الإقطاعي الرأسمالي الى النظام الاشتراكي الشيوعي باستعمال أساليب الدعاية عن طريق مختلف وسائل الاعلام.

ب/في أوروبا:

لقد سارعت العديد من دول أوروبا الغربية بتطبيق النظرية الاشتراكية قبل الدول أوروبا الشرقية، ولخير دليل هو استعمال كل من ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية أح الركائز التي تعتمد عليها النظرية الا وهي الدعاية من خلال وسائل الإعلام بنشر أفكارهم ومحاولة تغيير توجهات جماهيرها نحوها. أما دول أوروبا الشرقية فلقد اتبعت النهج الماركسي لتصبح امتداد طبيعي للاتحاد السوفيتي.

6/5 الإنتقادات الموجهة للنظرية:

ومن الانتقادات التي وجهت الى هذه النظرية نذكر:

- 1- تقديم وسائل الاعلام لوجهة نظر واحدة كونها تابعة للدولة، وبذلك فلا وجود لحرية التعبير فيها و لا للتعددية.
- 2- اعتماد وسائل الاعلام على الدعاية لخدمة مصالح الحزب الواحد والمساهمة في نشر مبادئ الشيوعية وكذا أفكار الدولة أي أهداف وسائل الاعلام محددة بدقة.
- 3- الرقابة على وسائل الاعلام الأجنبية واعتماد على أسلوب التعقيم الإعلامي⁴.

جامعة التكوين المتواصل
السنة الثانية : السداسي الرابع

المراجع:

- 1- رمضان غيث ، الاشتراكية، الموسوعة السياسية ، على الرابط:
<https://politicalencyclopedia.org/dictionary>
- 2- إبراهيم محمد، الصحافة والتنمية السياسية، القاهرة، دار العلمية للنشر والتوزيع، 1998، ص 177 .
- 3- حجاب محمد منير، نظريات الاتصال، بيروت، دار الفجر للنشر و التوزيع، 2010، ص: 225-227.
- 4- فلاح كاظم المحنة، علم الاتصال الجماهيري ، الطبعة الأولى، الأردن، دار الوراق للنشر والتوزيع، 2005 ، ص: 227 .

جامعة التكوين المتواصل
السنة الثانية : السداسي الرابع
